

أضواء البيان

. @ 534

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كونه تعالى . لو شاء لجعل الماء غير صالح للشراب ، جاء معناه في آيات أخر كقوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْدَجَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُمُ بِمَآءٍ مَّعِينٍ } وقوله تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنْ نَزَّلْنَا ذَهَابَ بِهِ لَقَادِرُونَ } لأن الزهاب بالماء وجعله غوراً لم يصل إليه وجعله أجاجاً ، كل ذلك في المعنى سواء بجامع عدم تأتي شرب الماء ، وهذه الآيات المذكورة تدل على شدة حاجة الخلق إلى خالقهم كما ترى . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { أَلَمْ نَزَلْنَاكُمْ مِنْ الْأُمُوزِنِ } يدل على أن جميع الماء الساكن في الأرض النابع من العيون والآبار ونحو ذلك ، أن أصله كله نازل من المزن ، وأن الله أسكنه في الأرض وخزنه فيها لخلقه . وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ } وقوله تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ } وقد قدمنا هذا في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى { فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ } وفي سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى { يَعْزِلُ مَا يَلَاحِجُ فِي الْأَرْضِ وَرَوْضَ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا } وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { فَلَا وَلاَ تَشْكُرُونَ } فلولا بمعنى هلا ، وهي حرف تحضيض ، وهو الطلب بحث وحض والمعنى أنهم يطلب منهم شكر هذا المنعم العظيم بحث وحض . .

واعلم أن الشكر يطلق من العبد لربه ومن الرب لعبده . .

فشكر العبد لربه ، ينحصر معناه في استعماله جميع نعمه فيما يرضيه تعالى ، فشكر نعمة العين ألا ينظر بها إلا ما يرضي من خلقها ، وهكذا في جميع الجوارح ، وشكر نعمة المال أن يقيم فيه أوامر ربه ويكون مع ذلك شاكر القلب واللسان ، وشكر العبد لربه جاء في آيات كثيرة كقوله تعالى هنا : { فَلَا وَلاَ تَشْكُرُونَ } وقوله تعالى { وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ } والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . .

وأما شكر الرب لعبده فهو أن يثيبه الثواب الجزيل من عمله القليل ، ومنه قوله تعالى { وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } وقوله تعالى { إِنَّ

